العنوان:	ثقافة العمل التطوعي في المجتمع العربي المعاصر : المكونات والإشكاليات وضرورات التفعيل
المصدر:	مجلة النهضة - مصر
المؤلف الرئيسي:	غانم، إبراهيم البيومي
المجلد/العدد:	مج 4, ع 15
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2003
الشهر:	أبريل
الصفحات:	79 - 81
رقم MD:	67096
نوع المحتوى:	عروض ابحاث
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	الثقافة العربية، العالم العربي، العمل التطوعي، الجمعيات الأهلية، الخدمات الاجتماعية، التنمية الاجتماعية، القيم الاجتماعية، وسائل الاعلام، القوانين والتشريعات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/67096

ثقافة العمل التطوعي في المجتمع العربي المعاصر:
المكونات والإشكاليات وضرورات التفعيل

إبراهيم البيومي غانم*

هدف هذا البحث هو رصد مكونات "ثقافة العمل التطوعي"، وتحليل أهم الإشكاليات التي تعاني منها في المجتمع العربي المعاصر. ويميز الباحث في هذا الصدد بين مصادر تراثية موروثة، ومصادر أخرى حديثة وافدة من الخارج. ويرى أن هناك حالة من التنازع والانقسام في الثقافة السائدة حول العمل التطوعي في الواقع الراهن لمختلف المجتمعات العربية، وهذا التنازع -أو الانقسام- من شأنه أن يسهم في إضعاف قوة المجتمع والدولة معا، وينعكس سلبيا على أنشطة العمل التطوعي وفعالياته؛ حيث يؤدي إلى تبديد الجهود، وإضعاف الثقة في المنظمات والجهات المسئولة عن العمل التطوعي، كما يؤدي إلى تقليل المبادرات الفردية والجماعية في هذا المجال، وتكون الخسارة كبيرة للفرد وللمجتمع وللدولة على حد سواء. ومن هنا تأتي أهمية الحديث عن "ثقافة التطوع" كمفهوم يوضح "منظومة المبادئ والقيم والأفكار والمعايير" التي تشكل في مجموعها إطارا مرجعيا ومصدرا معرفيا لكافة الأعمال والأنشطة والمبادرات والممارسات، التي تندرج في إطار "التطوع" من ناحية، وتسهم في تفعيلها على مستوى الممارسات الاجتماعية من ناحية أخرى.

وقد اتبع الباحث المنهجية المقارنة في تحليله لمكونات "ثقافة التطوع" وإشكالياتها، مفترضا أنه يمكن التمييز على المستوى العملي التطبيقي بين ثقافة للتطوع "سائدة" في مجتمع ما في فترة زمنية محددة، وأخرى "فرعية" تخص فئة أو طائفة أو جماعة من هذا المجتمع، وثالثة "هامشية أو مضادة" تكون مختلفة عما هو "سائد" وما هو " فرعي"، أو عن أي منهما على حدة. وركز في تناوله بشكل أساسي على"الثقافة السائدة" في المجتمع العربي المعاصر، محددا بذلك مجالا زمنيا يمتد لخمسة عقود مضت على الأقل، تشكل في مجملها المعنى المقصود في هذا البحث بتعبير "التاريخ المعاصر". وتشير معطيات الواقع إلى أن علاقة القسم الموروث من ثقافة التطوع بالقسم الوافد منها هي علاقة شديدة التعقيد، ونادرا ما تناولتها البحوث والدراسات المتخصصة في هذا المجال ، كما تشير تلك المعطيات إلى أن القسم الموروث هو الأكثر شيوعا على المستوى الشعبي ، ولكنه أقل فاعلية مقارنة بالقسم الوافد، وإن كان هذا الوافد لا يحظى بقبول شعبي واسع ، ولا يزال محصورا في أوساط نخبوية. وعلى أي حال، فإن ثمة سلبيات متعددة تعاني منها تلك "الثقافة السائدة" في العمل التطوعي ، ومن ثم فلابد أولا من رصدها وتحليلها ومعرفة مصادرها ومكوناتها،

---

*خبير بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ،الجيزة.

وتحديد الإشكاليات التي تكمن خلف تدني فاعليتها، وبعد ذلك يكون اقتراح المداخل العملية الكفيلـــة بـــالتغلب عليها، وتحقيق فاعليتها في الواقع الراهن للمجتمع العربي.

ومن أهم النتائج التي خلص إليها الباحث أنه بالرغم من الجهود الكثيرة التي شهدتها ســـاحة العمـــل التطوعي خلال السنوات الأخيرة ــ ولا تزال تشهدها ــ إلا أن ثقافة العمل التطوعي لا تزال تعاني من أربـــع إشكاليات أساسية تتمثل في: "التسييس" ، والجمود والتقليدية ، والانقسام وازدواجية المرجعية المعرفية التـــي تستمد منها وتستند إليها هذه الثقافة. وبالرغم من صعوبة كل إشكالية من هـــذه الإشـــكاليات مـــن جهـــة ، وتزامنها مع بعضها من جهة أخرى ، إلا أنه من الممكن التغلب عليها وتنقية الثقافة السائدة مـــن المفـــاهيم الجامدة والسلبية، وذلك بتوحيد مرجعيتها المعرفية، وتجديد خطابها الفكـــري ، علـــى أن تســـهم فـــي ذلـــك مؤسسات التنشئة الثقافية والتربوية ووسائل الإعلام والهيئات التشريعية، مع دعم من السياسة العامة للدولـــة في هذا الاتجاه؛ من أجل بناء ثقافة تطوعية مشتركة على مستوى المجتمع العربي كله، تقوم على مبادئ وقيم وأخلاقيات وأهداف موحدة من ناحية، وتحترم خصوصيات الثقافة المحلية لكل بلد عربي ، أو لكل مجموعـــة بلدان عربية ، من ناحية أخرى. وثمة ضرورات متعددة تحفز السعي من أجل تفعيل ثقافة التطوع في المجتمع العربي بصفة عامة، لعل من أهمها الضرورات العالمية التي باتت ــ منذ عقدين على الأقل ــ تولي اهتمامـــاً متزايداً بالقطاع التطوعي ، وكذلك الضرورات الداخلية على المستوى المحلي (القطري) لكل بلد عربي، التـــي تؤكد أهمية إخراج هذه الثقافة من حالة الركود إلى حالة الفاعلية؛ لأن في ذلك مصلحـــة مزدوجـــة: للدولـــة والمجتمع معاً؛ فالدولة من جهتها تسعى لتخفف من عبء إرث السلطة الأبوية، والانتقال من فلسفة "الرعايـــة الكاملة" إلى الرعاية النوعية التي تقتصر على تقديم بعض الخدمات الاجتماعية التي تحسن تقديمها؛ بعـــد أن عرفت من تجارب المراحل السابقة أن خدماتها الرديئة تضر المجتمع ولا تنفعها بشيء. ومن هنا فإن تفعيـــل ثقافة العمل التطوعي يأتي في خدمة هذا التوجه، أما من جهة المجتمع فقد عانى بما فيه الكفاية من الإقصـــاء والتهميش في ظل الدولة الشمولية أو السلطوية، وهو في أشد الحاجة للتخلص من ثقافة الاســـتبداد والقســـر والإكراه والاحتكار، وهو يتطلع كذلك لترميم شبكة العلاقات التعاونية والتراحمية التي تهتكت من جـــراء هـــذا الاستبداد، وخلفت وراءها فجوات نفسية عميقة بين فئات المجتمع،وفوارق طبقية واسعة بين جماعاته، ولذلك فإن تفعيل ثقافة التطوع يضحى من هذا المنظور ضرورة اجتماعية لا غنى عما يمكن أن تسهم به فـــي هـــذا المجال، بما أن التطوع في جوهره هو فكرة للإيثار، وقيمة تنطوي على حرية الاختيار،والشعور بالمســـئولية تجاه الآخرين.

ويقترح الباحث عدداً من المداخل التي يمكن من خلالها الإسهام في تفعيل ثقافة التطوع في المجتمـــع العربي ، ومن ذلك المدخل العلمي: ومحوره الأساسي هو تطوير البنية الفكرية لثقافة العمل التطوعـــي مـــن مختلف جوانبها، وذلك باستخدام الأساليب والمناهج العلمية الملائمة؛ بما يقتضيه ذلك من توفير كوادر بحثيـــة

متخصصة، وذات كفاءة عالية، يمكنها القيام بوضع الخطط والبرامج البحثية المطلوبة، والإسهام في تنفيذهــا، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات المتخصصة بهذا الشأن، ويمكن أن تُلحق مراكز بحثية متخصصة في هـذا المجال بالمؤسسات والمنظمات التطوعية، كما يمكن أن تنشأ مستقلة أو بالتنســيق فيمـا بينــها. والمدخـل التربوي التعليمي: ومحوره الأساسي هو الاهتمام بغرس قيم وأخلاقيات ثقافة التطوع في الأجيـــال الجديــدة، وذلك عبر مختلف الأنشطة والبرامج والمشروعات التربوية والتعليمية، وفي مقدمتها المقــررات الدراســية، والأنشطة الترفيهية، وبرامج خدمة المجتمع..إلخ. والمدخل الإعلامي: ومحوره الأساسي هو نشر ثقافة العمل التطوعي، وتعميق الوعي بها لدى أغلبية جماهير المجتمع العربي، وذلك بإعطـــاء مســاحة إعلاميـــة أكــبر للبرامج المدروسة والهادفة في هذا المجال، وبناء صورة واقعية للتطوع علـــى أســس منهجيـــة منضبطـــة، ومستندة إلى معلومات دقيقة، ومفاهيم واضحة يتم استلهامها برؤية نقدية من التراث الحضاري للأمة، ومـــن المكتسبات التي حققتها البشرية في تجاربها الحضارية المختلفة، وبخاصة في تجربتها الحديثة والمعــــاصرة، بشرط ألاّ تكون متعارضة مع قيم وثوابت المجتمع العربي . والمدخل التشريعي القانوني: ومحوره الأساســـي هو السعي لتعديل، أو إلغاء ، القوانين التي تحتوي على معوقات للعمل الأهلي التطوعي، وفي مقدمتها قوانين الأوقاف، وقوانين الجمعيات والمنظمات غير الحكومية في معظم البلدان العربية.

إن تفعيل ثقافة العمل التطوعي في المجتمع العربي عبر تلك المداخل ــ حسب رأي الباحث ــ يفـترض من جهة ضرورة تضافر جهود منظمة ومنسقة في هذا الميدان من مختلف المؤسسات والفاعليـــات التربويـــة والتعليمية، والعلمية، والأكاديمية، والثقافية والإعلامية، والتشريعية القانونية، جنباً إلى جنب الجـــهود التـــي تبذلها –ميدانياً– المنظمات الأهلية التطوعية، كما يفترض من جهة أخرى أن تستهدف جميع هذه الجهود جعل التطوع قيمة مستقرة وفاعلة في الوعي الفردي والجماعي لأبناء المجتمع العربي، وفقاً لمنظومة متناســقة ، وغير منقسمة ، من المبادئ والأخلاقيات والقيم التي تحظى بالإجماع العام.